جلب صحيح النّقل في أنّ العلم أفضل من النّفل

للشّيخ العلّامة محمّد الحسن ولد أحمد الخديم حفظه الله

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي قد رفعا ... مَن أوتي العلم محلًّا أرفعا

ثمّ صلاةٌ وُصْلَةٌ لِقُربه ... على الهدى وآله وصحبه

هذا وذا نظمٌ به قد يعلم ... هل الافضل النّفل أم التّعلّم

وما على تفضيل كلٍّ نصّا ... فليس يُحصر وليس يحصى

والخُلف لست أقصد انحصاره ... إذ يكتفي اللّبيب بالإشاره

فقلت أجني من جنى كنّون ... وقاطفًا من دَوحة الرّهوني

العلم هل تدريسنا مسائله ... أفضل أم صلاتنا للنّافله؟

تفضيلُ كلٍّ مرّةً من ذلك ... سمعه ابن قاسم عن مالك

وذكروا التّفضيل للصّلاة ... عنه بما كآخر اللّيلات

وفي المقدّمات الافضل لمن ... تُرجى الإمامة له علمُ السّنن

إلّا فبالفضل لنفله جزم ... إن يدر ما في نفسه له لزم

من كصلاة وطهارتين ... بذاك توفيق الرّوايتين

ويلزمُ الأثقلُ سحنونُ نَقَل ... لكن طِلاب العلم أفضلُ العمل

إذ وردت في مدحه الآثار مع ... أن لم يكن بالموت أجره انقطع

لكن فلا تَحْرِم مدى الأوقات ... نفسَك من ذكرٍ ومن صلاة

قال الرّهوني افعل خفيفًا ما أخلّ ... ما أنت في صدده من العمل

وفي المدونة يترك الكلام ... بعد صلاة الصّبح مالك الإمام

إلى طلوع الشّـــمس أو لقرب ذا ... فـالـتّـاديّ قـال مِـن ذا أُخِـذا

أنّ اشـتـغـالـنـا بـذكـرٍ أفضـل ... إذ ذاك مـن عـلـمٍ بـه نشـتـغـل

وقـال الاشـيـاخُ الـتّـعـلـم بـه ... أولى وذا الصّـواب مِـلْ لصـوبه

لا سـيّـما في الـزّمـن الـيـومَ لما ... فـيـه مـن الـتّرك لـعـلـمِ عُـلِـما

وكان شـيخنا الشّـبيبي يـفتي ... بـه إلى المـهات لـلـمسـتـفـتـي

هـذا الكلام في ابن نـاجي قـالـه ... عـلى المـدوّنـة والـرّسـالـه

سـبعون حجّةٍ عليـها فضّـلا ... سـماعَ مسـألـة عـلـمِ فُضَـلا

نـقـلـه المـدخـل ثـمّ قـال لا ... خلاف في كون العلوم أفضـلا

مـا بـعـد الايـمان إذن تـعـيّـنـا ... من فضـلـه تخليصـه لـربّـنـا

عيسى بن مسكينٍ لفضل العلم قال ... مسـألـةٌ مـن الحـرام والحـلال

من قتلنا سـبعينَ ألف كـافـر ... أحـبّ ذا في الونشـريسي سـافر

ونجـلُ وهـبٍ كـان عند مـالـك ... فـهـمَّ أن يـقـوم مـن هـنـالـك

إلى الصّـلاة جـامـعًا لـكـتـبـه ... قـال لـه: لـيس الـذي كـنـت بـه

بـدون مـا أنـت إلـيـه تـذهـبُ ... إن صـحّـت النّيّـة فيما تَطلب

سـفيان قال: لسـت أعلم عمل ... أفضـلَ من طلب علمٍ يُحتمل

وقـال أحمـد: أَلَسْـنـا في عـمـل ... لقائـلٍ: ذا العلم لكن ما العمل

والـعـلـم لـلـخـير هـو الحِـبَـالـه ... وأفضـلُ الأعمـال في الرّسـاله

من صـار يُفتي جاز تركُه السُّـنَن ... غيرَ الرّغيبـة عن الحطّـاب عنّ

ونجـلُ زكري قـال علـمٌ يُحمـل ... بـعـد أداء الـواجـبـات أفضـل

مـن كـلّ نـفـلٍ مـطـلـقًـا ونـقـلا ... فيه الأحاديـث وقول الفضـلا

وكـلّ مـا عـن الشـيـوخ يـأتي ... في درسِـه بـفـاسـد الـنّـيّـات

من نهيهم عنه وتحذيرٍ فما ... مرادهم أن نترك التّعلّما
وعنه نُعرضُ وكيف وهْو قد ... طُلب عينًا وكفايةً فقد
لكن صلاحُ نيّةٍ فيه المراد ... بذا فأيْقَظُوا ونَبَّهُوا العباد
إلّا يُؤَدِّ الأمرُ للتّرك وذا ... على أصول الـ مَفْسَدات استحوذا
وساقَ ما يشهدُ للذي نقل ... من قصدهم الاخلاصَ لا ترك
فالسّعي في تحصيله ونيله ... أفضلُ لا خُلفَ لفقد أهله
لو حُرِم الخشية من يدرسّه ... فما جنى ثمرة ما قد يغرسه
إذ بوجود العلم في الأنام ... محفوظةٌ قواعد الإسلام
ويتقرّر الهدى ويستبين ... كيف التّعبد لربّ العالمين
وقال في الإحياء أمّا العالم ... يُفتي الذي يسأل أو يعلّم
فإنّه ترتيبُه أورادَه ... مخالفٌ ترتيبَ ذي العباده
إذ هو محتاجٌ لما أراده ... إلى المطالعة والإفاده
فإن له أمكن أن يستغرِقا ... أوقاتَه في ذاك للأعلى ارتقى
إذ ذاك أفضل لدى الأثبات ... بعد رواتب ومكتوبات
والمتعلّم بعلمِ شغلُهُ ... على النّوافل استبان فضله
هنا انتهى كلام نجل زكري ... وهُزِلت منّي ركاب الفِكْر
وما على تفضيل علمِ دلّا ... عن عَدّ عُشْرِه اللّسان كلا
من كلّ نصٍّ عَرْفه ذكيّ ... يشمّه الغبي والذّكيّ
لكن فما مرادهم بالعلم هل ... ظاهره أم باطنٌ بالقلب حلّ؟
إذ لم يجد بعلمه خلاصا ... من فقد الخشيةَ والإخلاصا
وفي العهود أنّه من يطلبه ... يلزمه اتّخاذ شيخ يصحبه

يهدي إلى الوصول للـــ ـخلاص ... من الرّيا لحضـــ رة الإخـــ ـلاص
من باب ما ليس يتـــ ـمّ الواجب ... إلّا بـه فـواجـبٌ لا واجـب
فـطـالـبُ الـعـلـم عـلـيـه يجـبُ ... الاخلاصُ والإخلاص فيه رُتَـب
أدنى مراتب الخلـــ وصِ إن قُدِح ... فيه بسـوء الفـــ ـهم والجهل فَرِح
ولا يَـعُـدّ نـفســـه مـن اهـلـه ... في ســـاعـةٍ مـن يـومـه ولـيـلـه
وهـو محـبٌّ أن يـكـون الـقُـرَنـا ... في العلم والعمل فوقَه سـنـا
وإن أتـى المـحـفَـل لا يـكـلّـم ... إن فيـه قـد علـم مـا لم يـعـلـمـوا
كـم عـالِم بـعـلـمـه قـد يَهـلـك ... وهْوَ بـه سـبـل النّجـاة تُسـلـك
إذ كـلّ مـا في حقّ علـمِ وعـمـل ... ورد بالإخـــ ـلاص فيهما اسـتقلّ
هـيـهـات عـلـمُـه عـلـيـه حـجّـه ... غـدًا إذا لم يســلـك المـحـجّـه
فـويـح مَـن مِـن عـلـمـاء الـدنـيـا ... خسـ ـــ ـر أعمالًا وضـلّ سـعـيا
يصـطاد بالعـــ ـلم حطام الدّنـــ يا ... ويـتصـــدّى لـلـقضـــا والـفـتـيـا
فـكـم وكـم في ذاك مـن وعـيـد ... بـكـلّ هـولٍ وازع شـــديـد
وكم وكم من قائـــ ـلٍ ما مِن صفه ... محـمـودة إلّا لـعـلـم المـعـرفـه
فـهـو المـراد بـالـذي قـد انـتـشـر ... مـن آيـةٍ ومـن حـديـثٍ وأثـر
فالفقهُ كان في العصـور الغابـــ ـره ... يُعـنـى بـه عـلـمُ طـريـقِ الآخـره
وآفـةِ الـنّفس ومفســـدِ العـمـل ... ومـا على حقـــ ـارة قد اشـتـمـل
مـع الـتّـطـلّـع إلى نـعـيـم ... الأُخْـ ـرى وخوفٍ بالحجـ ـا مُقيم
ولـيـس مـقصـــودًا بـه الـطّـلاق ... والجُـعـل والسّـــلـم والـعِـتَـاق
بـل الـتّـجـرد لهـذا دأبـا ... قد يـ ـنزع الخوف ويُقـ ـسي القلبا
أســتـغـفـر الله الـعـظـيـم مـن جـمـيـع ... مـا قلتـه فهو المجيـب والسّـمـيع

أســـألـه غـفـران كـلّ زلـل وكـلّ عـلـمٍ قـد خـلا مـن عـمـل
ثـمّ أصـــلّي وأســـلّـم عـلى محـمّـدٍ وآلـه أهـل الـعـلا
والصّـحب من حَلُّوا المقام الأرفعا بســبب العـمـل والـعـلـم مـعـا
مـا أكســـبَ الخشـيـةَ علما نفعـا وعـن ركـونٍ لـلـدُّنَـا قـد ردعـا

إنتاج: قناة النّصوص المحظريّة

للانضمام في واتساب راسل الرقم 00222324111111

تمّت كتابة هذه النّسخة على الملحق الرّابع من درر الفوائد وغرر الشّواهد

للعلّامة الشّيخ محمّد الحسن بن أحمد الخديم حفظه الله ورعاه